دعوة للتّغيير لإصلاح الأرواح قبل الأشباح في ظِلال أحداث غزّة وما فيها من جِراح

2023-12-08

الْحَمْدُ للهِ وَلِيِّ المؤْمِنِينَ، وَمَوْلَى المُتَّقِينَ، قَاهِرِ الطُّغَاةِ وِالْعُتَاةِ وَالْمُجْرِمِينَ، أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَالْحَقِّ المُبِين، وَوَعَدَهُ بِالْعِزَّةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالتَّمْكِينِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ، نَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فسبحانه من إله قويٍّ عزيز؛ جعل عِزّ هذه الأمّة مرتبطًا بالدين؛ إن أقامته تُنصَر، وإن ضيّعته تَضعُف وتشتكي، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، يبتلي عباده بالسرّاء والضرّاء، ويتابع عليهم الفتن والبلاء؛ ليختبر صِدقهم وصبرهم ويستخرج دعاءهم. قال في سورة سيّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ((وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ)). وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ مِنْ خلْقِهِ وحَبِيبُهُ، أَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ مُصْلِحًا وَمُزَكِّيًا، وَعَلَى الفَضَائِلِ دَلِيلاً وَمُرَبِّيًا، ذُو النَّفْسِ الكَامِلَةِ السَّوِيَّةِ، وَالسِّيرَةِ النَّقِيَّةِ المَرْضِيَّةِ، خَيْرُ مَنْ صَلَّى وَخَشَعَ، وَذَلَّ لِرَبِّهِ وَخَضَعَ، مَنِ اقتَدَى بِهِ هَدَأَ بَالاً، وَسَعِدَ حَالاً وَمَآلاً،

يا أُمّةً لنبيءٍ نورُه سطعَا * هذا الذي بالهدى والدين قد صدعَا

وعزّ مقداره في المجد وارتفعا * صلّوا على المصطفى يا كلَّ مَن سمِعَا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيِّدِنا محمد. مَن كمُلت بذِكره الشهادة. وعلى آله ذوي المجد والسيادة. وصحابته أهل النُّسُك والعبادة. صلاة تمنحنا بها لطائف العلوم والإفادة. وتتوّجنا بها بتاج العزّ واليُمن والسعادة. وتحفظنا بها من الموانع القاطعة عن الوصول إليك في البدء والإعادة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. نواصل الحديث مثقَلِين بمخلَّفات ما نرى ونسمع عن أحوال المسلمين في غزّة. في أرض المسجد الأقصى المقدَّس. منطلِقين من آلام استوطنت

القلب. لتتدفَّق على الجوارح. فيعبِّر اللسان. ويُترجِم القلم والبنان، وذلك أقلّ الواجب في زمن الخذلان. إنه لا يمكن أبداً لأيِّ مسلم صادقٍ أن يغضّ الطرف عمّا يجري في غزّة من أحداث. لا يمكن أبدًا. لأنّ من تجليّات الأخوّة الإيمانية المشاركة في الأفراح والأحزان. لقول ربنا في سورة الحجرات: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)). ولقول رسولنا ومعلِّمنا صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى له سَائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى)). إذاً فإنّ الأمر من صميم الإيمان. وليس هو من قَبِيل نَشْر الأحزان. أو إحياء الأشجان، وليس هو من قَبِيل عَرْض الوقائع والفظائع. لتستقبحها النفوس. وتمجّها الطبائع. ثم يقف الأمر عند هذا. لقد تحمّس الجميع. وردّدوا الهتافات. وتعالت الأصوات. وتوالت الصرخات، وما زالت الأوضاع كما هي في غزّة. والظالمون ينتهكون الحرمات. والعالَم يتابع التطوّرات. والمسلمون في الأرض الطاهرة المقدَّسة يُحاصرون ويُغتالون. ويُعتقَلون ويُمتهَنون. ويُقصَفون ويُعدَمون. وماذا بعد؟!! أيّها المسلمون. هل نحن مستعدّون للتغيير الآن. ونحن نسمع قوله تعالى في سورة الرعد: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)). من هنا نبدأ. من هنا تبدأ الأُمّة إذا أرادت أن تستعدّ عزّتها التي ضيّعتها في نفسها. يوم أن ضيّعت أوامر ربها. وهجرت كتاب خالقها. وسنّة نبيّها. صلى الله عليه وسلم. قال تعالى في سورة آل عمران: ((أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)). وخلاصة القول: والقول موجَّه لكل مسلم. لا تقل من أين نبدأ. أنت البداية. أنت البذرة الطيّبة. أنت أمل الأمّة. أنت الحَلّ. أنت الشمعة التي تُضيء الظلمة. لا تقل من أين نبدأ، بل قل: أنا أبدأ. نعم. أيّها المسلمون. هذا هو المشروع الذي نواجه به كيد أعداء الله. الذين يواصلون الليل بالنهار من أجل الفتك بالمسلمين. والقضاء عليهم. فماذا نحن فاعلون؟؟

يا أمّة الحق والآلام مُقبِلة * متى تَعِينَ ونار الشر تستعرُ؟!

متى يعود إلى الإسلام مسجده؟! * متَى يعود إلى مِحرابه عمرُ؟!

أكلَّ يومٍ يُرى للدين نازلةٌ؟ * وأمّة الْحق لا سَمْع ولا بصرُ؟

فلنرفع الغطاء عن أنفسنا، ولنكشف الغشاوة عن أبصارنا، ولنفتح بالوعي أذهاننا، ولتكن حياتنا ملؤها التواصي بالحق والمصارحة. والتناصح في الله والمكاشفة. أيّها المسلمون. أما آن للأمّة أن تقرأ قول الله تعالى في سورة آل عمران: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضِرْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)). ها هو الحل لمن يطلبه. ها هو العلاج لمن يريده: ((وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا)). الصبر وحده لا يكفي. (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضِرْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)). الصبر والتقوى هذا هو العلاج الذي تنهار أمامه كل أنواع الطَّعن. وتنهزم أمامه كل ألوان الكَيد والمكر. ولكن أين مَن يستمع. وأين مَن يتّعظ؟!! لا نزال نتعلّق بالكافرين في حلّ مشاكلنا. وأنتم ترَوْن اليوم العالَم كلَّه يرى ما يتعرّض له أحبابنا وإخواننا في غزّة. من مجازر. وقتْل. وذبْح. واغتصاب. ولا يحرِّكوا ساكنًا، وإذا تكلّم كان صمْته أَوْلى من الكلام.

قتلٌ وتشريدٌ وهتكُ محارم * فينا وكأس الحادثات دِهاقُ

وحشيةٌ يقف الخيال أمامها * متضائلا وتمجّها الأذواقُ

أين النظام العالميّ أَمَا له * أثرٌ ألمْ تنعق به الأبواقُ

أيّها المسلمون. طريق واحد هو الطريق الصحيح. لا بد من العلم والحكمة. فالوصول للعِزّة ليس أمرًا سهلاً، وطريقه ليس طريقًا معبَّدًا، ولكن علينا أن نعرف بداية الطريق. فبدايته وقفة. نعم. وقفة صادقة مع هذه النفس الضعيفة، هذه الوقفة الصادقة بدايتها التوبة النصوح والعمل الصادق. من هنا من أنفسنا البداية، ولنبتعد عن إلقاء التُّهَم على الآخَرين وتبرئة أنفسنا، لنكن صالحين في أنفسنا مصلحين لغيرنا. فهذه هي البداية. وهذا هو الطريق الصحيح. والإتّجاه السليم. وليكن شعارنا قول ربنا في سورة الأنعام: ((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِيَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)). أيّها المسلمون. قال تعالى في سورة سيّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ))، وأخبر تعالى أنه لن ينصر إلا أهل الطاعة والإيمان. لا أهل الفجور والخِذلان، فقال وهو الرحيم الرحمن في سورة غافر: ((إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)). وبيّن لنا سبحانه أنه إن تولَّيْنا عن نصرة دينه. ورَفْع رايته. فإنه يستبدل قومًا يقومون بحق الله وبنصرة دينه. فقال في سورة سيّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ((وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)). أيّها المسلمون. تأمّلوا رحمكم الله. وانظروا إلى بلاد المسلمين كم فيها من مخالفات شرعية في جميع الأصعدة. إلا مَن رحم ربك، ثم مع هذا نريد نَصْر الله وأن يَهزِم عدوّنا، ويكفّ شره. ويكبِتَ أمره!!! أخرج ابن ماجه والحاكم والبيهقي بسندٍ صحيح. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رضي الله عنهما قَالَ: ((أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يا معشرَ المُهاجِرينَ، خِصالٌ خمْسٌ إذا نزلْنَ بكم. وأعوذُ باللهِ أنْ تُدْرِكوهنَّ: لم تظهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتَّى يُعْلِنوا بها، إلَّا فشا فيهم الطَّاعونُ والأَوْجاعُ الَّتي لم تكُنْ مضَتْ في أسلافِهم الَّذين مَضَوْا قبلَهم، ولا انتقَصوا المكيالَ والميزانَ، إلَّا أُخِذُوا بالسِّنينَ وشِدَّةِ المؤنةِ وجَوْرِ السُّلطانِ عليهم،

ولم يَمْنعوا زكاةَ أموالِهم، إلَّا مُنِعُوا القَطْرَ من السَّماءِ، ولَوْلاَ البهائمُ لم يُمْطَروا، ولم يَنْقضوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه، إلَّا سلَّطَ اللهُ عليهم عدُوًّا من غيرِهم، فأَخَذَ بعضَ ما في أيديهم، وما لم يَحْكمْ أئمَّتُهم بما أنزَلَ اللهُ وتَخيَّروا فيما أنزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ، إلَّا جعَلَ اللهُ بأْسَهم بينهم)). فكل هذه المخالفات فينا. وكل هذه العقوبات المرتبطة بها حلّت بوادينا. ((جَزَاءً وِفَاقًا)). وخلاصة القول: فالبكاء على بلاد المسلمين دون عمل وتوبة صادقة لا يحقِّق نصرًا، ولا يعيد أثرًا، وقد قيل في المثل: (إيقاد شمعة خير من لعن الظلام). أيّها المسلمون. فلنبدأ بالتغيير والعمل، ولنترك لَوْم الزمان والدهر، فهو فِعْل الفاشلين العاجزين، وقد روت لنا كُتُب التاريخ. وذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية: أنه في أعقاب معركة اليرموك الشهيرة. وقف مَلِك الروم يسأل فلول جيشه المهزوم. والمرارة تعتصر في قلبه. والغيظ يملأ صدره. قال لهم: (ويلكم! أخبروني عن هؤلاء الذين يقاتلونكم أليسوا بشرًا مثلكم؟ قالوا: بلى أيها الملك، قال: أأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: نحن أكثر منهم في كل موطن، قال: فما بالكم إذاً تنهزمون؟ فأجابه شيخ من عظمائهم: إنهم يهزموننا لأنهم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويتناصفون بينهم، أقاموا العدل فيما بينهم). كانوا يُنصَرُون لأنهم كانوا يحملون همّ الدين، واليوم إسأل كل مسلم من المسلمين، سَلْه من صباحه إلى مسائه فيما تفكِّر؟ ما الذي يشغل قلبك؟ ما الهمّ الذي تحمله؟ ستجد أنّ الهمّ الذي يحمله الناس في الغالب: الوظيفة، المعاش، الزوجة، الأولاد، هذا بالنسبة للعقلاء فينا، أم غيرهم فتجد أمورًا أخرى لا تستحق أن تُذكر، هذا هو الهمّ في الغالب، ثم ماذا؟ ثم لا شيء!!! أيّها المسلمون. ألا يحزننا الظلم الواقع على هذه الأمّة، وأرض فلسطين وغزّة خير دليل وأصدق شاهد!! هذا القتل الجماعي. والإغتصاب الجماعي. والتواطؤ الجماعي. والخِذلان الجماعي، ألا يحزننا هذا؟ ألا يحزّ في صدورنا؟ ألا يمنع النوم من أعيننا؟ إذاً أيّها الأحباب من هنا يبدأ الإصلاح. من عالم الأرواح قبل عالم الأشباح، ومن العقائد والأخلاق. قبل

القناطر والأنفاق. قال تعالى في سورة الأعراف: ((وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ)). نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا القيام بحق إخواننا المستضعفين والمظلومين في كل مكان، وأن يجعلنا ممن ينصرون إخوانهم في الدين والعقيدة، إنه سميع مجيب الدعاء. اللهم كن لأهلنا في فلسطين والأقصى وغزة، اللهم إنّ البلاء قد اشتد عليهم، وتوالت عليهم النكبات، وتكالبت عليهم الأُمم، اللهم ارحم ضعفهم. وارفع البلاء عنهم، واخذل عدوّهم ومن بغى عليهم، اللهم اجبر كسرهم، وأطعم جائعهم، واسقي ظامئهم، واحمل حافيهم، واكس عاريهم، وداوِ جرحاهم، وارحم موتاهم، واكتبهم عندك من الشهداء الأبرار، اللهم لا تسلّط عليهم من لا يخافك ولا يرحمهم. اللهم ألّف بين قلوبهم. واجمع كلمتهم. ووحّد صفوفهم على من بغى عليهم. اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين، واحم حوزة الدين، ودمّر أعداءك أعداء الدين، اللهم اجعل كلمتك هي العليا إلى يوم الدين، اللهم اغفر ذنوبنا. واستر عيوبنا، ونفّس كروبنا. وعاف مبتلانا. واشف مرضانا، وارحم والدينا وموتانا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ